

## هل نستطيع المثقفة كتابة سيرتها الخاصة؟

## (لا نكتب عن أنفسنا إلا إذا أمنا بها)

خاصة بين اللغة والكاتب، فهي تحتمي بها وتنبو عنها، وتنعكس الأدوار في المكتوب السيري، ولذا فهي لا تستطيع أن تتحمل مسؤولية تبادل الأدوار، لأنه يرفع عنها حصانة الحماية فتجد مكتوبها عارياً، إن وظيفة السطر معيار مزدوج في اللغة مرتين بطبيعة الحدث الممثل له وبنوع الإسقاط المعيا به، وكذلك وظيفة التعري، فهناك لفظ يعري ولفظ يستر، هاتان الوظيفتان للفظ هما مازق اللغة الأدبية عند المثقفة السعودية، ليس لأنهما يكتفان خاصية التمحو حول الذات فقط، بل لأنهما يغلقان النص، إغلاق يشبه الحياة المحافضة للمرأة، وبذا فطبيعة تكوين العقل الجمعي للمرأة ينعكس على نصها الإبداعي.

كما أن المثقفة السعودية اعتادت على استخدام اللغة بطريقة عرضية، وهو ما يفسر لنا اعتمادها على الأسلوب الوصفي في نصها، والأسلوب الوصفي عادة هو أسلوب يدعم الرؤية الأحادية رغم تفرعاته الناتجة عن تفكير اللحظة المتاملة، والتي تسعى المثقفة إلى التركيز عليه لإخفاء ضعفها ونواقصها في التقنيات السردية، وعدم قدرتها على رسم خارطة لمضمونها، مما يعني أنها تعاني من عدم القدرة على تكوين علاقات متجانسة عبر نصها وهو العمود الفقري للمكتوب السيري، لأن المكتوب السيري عبارة تجميع للعلاقات وتحليلها وتقويمها في ضوء ارتباطاتها المتبادلة سواء بالصد أو التماثل، كما أنه أسلوب يتيح لها مساحة أكبر للثرثرة، وهو أسلوب لا يقبل بالشراكة مع أسلوب آخر، أستطيع أن أقول أن المثقفة لدينا تعودت على هذا الأسلوب بل لا تعرف سواه، وهو ما قد يمثل لها مازق في تسجيل مكتوبها السيري، الذي يعتمد على سرد العلاقات في تجانس بصرف النظر عن محتويات تلك العلاقات، وهو ما يلزم تلون الأساليب وتعدد وظائف اللغة، فهناك اختلاف بين لغة النص الإبداعي، ولغة المكتوب السيري.

كما أن ممارسة تسجيل المكتوب السيري يحتاج إلى قدر كبير من موضوعية الرؤية بما تتضمن من تقييم معياري للآخر ومنجزه، وإفساح التجربة الخاصة للشراكة مع المجتمع كعلاقة تآثر وتأثير متبادلة، وكون النص الإبداعي للمرأة ما يزال نصاً انفعالياً فهذا يعوقها من توفر أهم خصائص المكتوب السيري بتقييم العقل الجمعي بموضوعية.

لأنك أن الفرصة ما تزال أمام الكاتبة السعودية لتصحيح نصها الإبداعي ليرهص لها مرحلة تسجيل مكتوبها السيري، والذي يحتاج تنفيذها إلى كثير من الجراة والشجاعة والموضوعية والصرامة والإيمان بالذات والمساهمة بمواقف وأدوار تؤثر في صناعة القرار الاجتماعي، لإشهار تجربتها، وقليل من الفنيات اللغوية.

كما أعتقد أن لدينا في المجتمع نساء هن أقدر على تسجيل مكتوبهن السيري من المبدعات السعوديات وهن سيدات الأعمال والتربية والتعليم والناقدات، والسبب في هذا الاعتقاد، لأنهن غير وأقعات تحت تأثير سلبيات النص الأدبي وحيله.

## سهام القحطاني

يجب أن تحب المثقفة السعودية أناتها أولاً، أن تغرم بها أن تتغزل بقيمتها وأثرها لتستطيع أن تكون فخورة بها لتعلن عنها من خلال مكتوب السيرة، كونه مكتوب قائم على الإشهار.

كما أن على المثقفة السعودية أن تتصالح مع الرجل، فأزمتها المختلفة مع الرجل تظل عائقاً لتطور نصها الإبداعي كمستوى أول، وعائقاً لكتابة سيرتها كمستوى ثان، لأنها لو استطاعت أن تنحي علاقتها بالرجل سواء التقابلية أو التضادية أو التماثلية في النص الإبداعي، فهي لا تستطيع أن تفعل ذلك في مكتوبها السيري؛ لأنه نص لمجموعات علاقات مكاشفة توثيقية الرجل جزء رئيس منها في أدواره المختلفة وآثاره المتعددة ومواقفه المؤثرة.

كما أن مكتوب السيرة يحتاج إلى محتوى بمواصفات خاصة، أو أظن ذلك. ذكرت سابقاً أن السيرة تنفيس عن نرجسيتها تلك النرجسية التي تنبع من إحساسنا بقيمتنا كمنجز وأثر. فهل تملك المثقفة السعودية تلك النرجسية الصادرة عن قيمة منجزها وأثره؟

أعتقد أنها لا تملك، لأنها حتى الآن لم تؤسس أو تشارك أو تقود أي حركات ثورية أو تمردية أو تحريرية أنتجت تغييراً وتغييراً في مجتمعها، وليس لها أي مواقف أو أدوار مؤثرة في صناعة القرار الاجتماعي والثقافي والسياسي أو تعديله أو حذفه.

لأن أهمية الدور وقيمة المنجز هما اللذان يدفعان المثقف إلى تسجيل مكتوبه السيري، ولذلك قلت لا نكتب عن أنفسنا إلا إذا أمنا بها).

فما زال النص الإبداعي للمرأة هو مضمون ارتدادي سلبي تتسول من خلاله وتستعطف وتشتم وتشتكي وتثرثر، وقد يندش البعض لربطي بين النص الإبداعي للمثقفة ومكتوبها السيري، لأنني مؤمنة بأن تخلص المثقفة لدينا من عقدها التي تبثها من خلال نصها الإبداعي والسعي إلى تأكيد ذاتها وقيمتها ودورها من خلال نصها الإبداعي، سيدفعها إلى تسجيل مكتوبها السيري، والإشهار عن ذاتها المتكاملة.

أما السبب الثالث الذي يعيق المثقفة من تسجيل مكتوبها السيري فهي اللغة، أقصد وظائف اللغة، عندما تقرأ النص الإبداعي للمثقفة السعودية ستلاحظ أن هناك علاقة

من وجهة نظري أعتقد أنها غير مستطبعة، وقد تكون وجهة نظري غير صحيحة، ومسألة

الاستطاعة لا ترتبط بنوع الجنس رجلاً أو امرأة، بل هي مرتبطة بالكفاءة والكفاية الفيتية إضافة إلى توفر نضوج التجربة الحياتية ونوع وقيمة محتوى تلك التجربة وأثرها على صاحب السيرة ومجتمعها، وطبيعة الشخصية ذاتها وأدوارها الاجتماعية، ونوع منجزها، فنحن لا نكتب عن أنفسنا إلا إذا أمنا بها، إذا أغرنا بإنجازها، فالكاتب عن سيرنا الذاتية هي تنفيذ لنرجسيتنا، تلك النرجسية التي تنبع من إحساسنا بقيمتنا كمنجز وأثر.

تلك ليست ضوابط لما ينبغي أن ينحول إلى سيرة، بل دليل لرسم خارطة ذهنية لهذا النوع من الكتابة الذي يختص بمكون معقد مثل الأنا.

أن علاقتنا بأنواتنا هي علاقة شائكة ولعله أمر يعود إلى تعقد الروابط التي تتكون من خلالها الأنا، فالأنا مكون جمعي لا مفرد له، ووفقاً لذلك فالرؤية التي تمثلها وتتمثلها هي رؤية ارتدادية لمجموع الوسائط الانفعالية التي تتعرض لها، بما فيها تحولها إلى أنموذج، كما أنها تتمثل وتمثل رؤية افتراضية للسبيل الارتدادي المفروض عليها، وبذلك فالأنا تمارس تنفيذ الرؤيتين أثناء كتابة سيرتها، الرؤية الارتدادية كنوع من محاكمة المجموع والهروب المقصود من تحمل جزء من مسؤولية نتائج الارتداد، أو إثبات حقاها في التمييز مقابل النموذج الارتدادي، والرؤية الافتراضية لإرضاء النموذج المتعالي الذي عجزت عن انجازه، وهو ما يحقق لها نوعاً من التوازن، والاحتياط على الوثيقة الرئيسية، وتقدم لنا هاتان الرؤيتان عبر المنتج الوصفي، وقد تقدم الأنا عبر منظورات أخر كالأنا البديلة والمستنسخة والمقلدة، عبر ممارستها لتقنية الإسقاطات، وهذا يعني أن الأنا التي تقدم إلينا عبر مكتوب السيرة هي أنا (منتجة) عبر الدوافع والحدث والمكان والزمان واللغة.

بمعنى أنها جزء من الحقيقة وليست الحقيقة كاملة، فاللغة تمارس انزياح وتغطية لبعض منها، وهو يعني أن مكتوب السيرة لا يخلو من الاحتيال لمصلحة الأنا. إن إيماننا بأنفسنا هو الذي يدفعنا إلى تخليد ذكراها وذكرياتنا وإشهار مواقفها وأدوارها وتحدياتها وإنجازاتها، ذلكم هو الدافع الذي يكمن وراء تسجيل سيرنا الذاتية، فهل تملك المثقفة السعودية هذا الدافع؟

أعتقد أنها لا تملك ذلك الدافع، وهو اعتقاد تستطيع أن تستنتجه من خلال قراءات إنتاج أغلب المثقفات لدينا، ذلك الإنتاج الطافح بنغمة الشكوى والإحساس بالظلم والاضطهاد وتششت الذات وفقدان الإيمان بقيمتها، إن أغلب المثقفات السعوديات اللائي يكتبن النص الإبداعي، يعانين من عقدة الخوف والنقص والدونية وفق ما يعرضه نصهن المكتوب، ومكتوب السيرة يحتاج إلى أنا كاملة لتملاها، الأنا التي تجمع بين القوة والضعف النجاح والفشل الأخذ والعطاء التأثر والتأثير، (أن) تنمو وفق علاقات تبادلية تحقق لها توازن زوايا الرؤى المختلفة، (أنا) تؤمن بقيمتها وقيمة منجزها وأثرها، (أنا) قادرة على إنتاج موقف ودور.



## مداخلات لغوية

## تصحيح مناط

أبو أوس إبراهيم الشمسان\*



قال محمد العدناني في (معجم الأخطاء الشائعة) (ويقولون: هذا الأمر مناط بفلان. والصواب: هذا الأمر منوط بفلان، أي معلق به، أو: له صلة به؛ لأن الفعل هو: ناطه به، أي: وصله، وليس أناطه به).

ويبدو أن هذا الاستعمال وإن شاع عند المحدثين فإنه ورد على قلة في أشعار ونصوص متقدمة، منها قول بشار:

والدرُّ والياقوتُ يحسُدُنْها مناطة في الأوضَحِ الأجيَدِ  
وذكر الشمشاطي في (الأنوار ومحاسن الأشعار) قول علي بن العباس:

مُحَمَّلَةٌ زَادًا حَفِيْفًا مُنَاطَةٌ من البُدُقِ الموزون قُلِّ وَأَقْنَعَا  
وجاء في (الدرر الكامنة) لابن حجر العسقلاني: (وبقي آل سنان على حالهم وغالب الأمور الأحكامية مناطة بهم حتى الحبس والأعوان والسجلات).

وجاء في (سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ١: ٦٧) قوله: (ما هو إلا تقاصير عقود نحور الخرد الكواعب أناط بها مولانا إبريزه وعقيانه).

وجاء في (عجائب الآثار، ٢: ٣٩٧): (فإذا خوطب الباشا في شيء من ذلك يعتذر بأنه مشغول بالبال واهتمامه بالسفر وأنه أناط أمر الجهة القبلية وأحكامها وتعلقاتها بابنه إبراهيم باشا). وجاء في (فيض القدير، ٥: ٤٧٠): (والله سبحانه أناط القطع بالسرقة). وفي (تحفة الأحوذني، ٩: ٢٣): (أَيَّ حَرَجٍ؟ عَلَى أَصْحَابِهِ وَكَرَّرَهُ لِيُنْبِطَ بِهِ غَيْرَ مَا أَنْاطَ بِهِ أَوْلًا).

ولعل الذي جعلهم يستعملون (أناط) بمعنى (ناط) أن بعض الأفعال يستعمل منها (فعل) و(أفعل) بمعنى واحد، أورد ابن قتيبة في (أدب الكاتب ص ٣٦٠) باب فعلت وأفعلت باتفاق معنى أمثلة كثيرة منها: (جد فلان في أمره وأجد، ويقال فلان جاد ومجد، لاق الدواة والأقها.. مددت الدواة وأمددتها وأمددته بالرجال لا غير، خلف الله عليك بخير وأخلف، نهج الثوب وأنهج إذا بل، سكت القوم وأسكتوا، وصميتوا وأصموتوا، خلق الثوب وأخلق، سمح الرجل وأسمح مع الكتاب وأمح إذا درس، ينعت الثمرة وأينعت، نسل الوبر وأنسل إذا وقع).

وسبب مجيء معظم الأفعال المذكورة مجرداً كمنزجها أن المزيد تعدى إلى مفعول ثم حذف المفعول، مثال ذلك (أسكتوا) أصله (أسكتوا أنفسهم) وحذف المفعول به وصار (أسكتوا) كالفعل المجرد اللازم (سكتوا).

فليس من بأس القول ناط الشيء وأناطه، ولكن من قال ناط الشيء وجب عليه أن يقول: مناط. وهذا لا يعني أن الفعلين متفقان كل الاتفاق ذلك أن زيادة المبنى في المزيد يقتضي زيادة معنى، وعند التأمل نجد أن معنى (ناط الشيء) علقه، أما (أناط الشيء) فجعله منوطاً أي معلقاً. جاء في معجم (لسان العرب): (والعرب تقول: حكمت وأحكمت وحكمت بمعنى منعت ورددت).

## (حول تصلية العصا)

قرأت ما تفضل بكتابته الأخ ظافر بن محمد المبيطي وأشكره على مشاعره النبيلة، أما سؤاله عن تصلية العصا على النار لتستقيم، فهو أمر أخذته عن المعجمات اللغوية ولعل المقصود بالعصا تلك ما كان منها ندي لم يجس ويفقد ماءه، فحري به أن يلين فيكون مرناً للاستقامة أو التشكل بأشكال أخرى ولا شك أن صناعة الكراسي والأثاث من الخيزران معتمد على استغلال طواعية العصا الندية وربما استعملوا النار لشيء من ذلك ومهما يكن من شيء فليست من يحق له بيان ذلك.

\* الأستاذ في قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض